٢- الكُلِّيَّةُ: (إطلاق الكل وإرادة الجزء)

من مجموع أمثلة هذه العلاقة يتَّضح أنَّها عكس علاقة الجُزئية؛ أي: أن يكون اللفظ المذكور كُلّاً للمعنى المراد، فيتضمَّنه ويتضمَّن غيره، ومن شواهده ما جاء في قوله-تعالى- تصويراً لحال المنافقين-: ﴿ **يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ** ﴾[البقرة:١٩]، إذ إنَّ إطلاق الأصابع على بعضها مجازٌ مشهورٌ، والعلاقة الكلية؛ لأنَّ الذي يُجعل في الأذن إنَّما هو رأس الأصبع لا كلها، لتصوير ما أصاب هؤلاء المنافقين من ذُعرٍ واضطرابٍ إلى الحدِّ الذي جعلهم وكأنَّهم يدسُّون أصابعهم كلَّها في آذانهم؛ فِراراً من مواجهةِ الواقع المحتوم بأقصى ما يُمكن، ومبالغةً فيما يشعرون به من هول الصَّواعق وفظاعتها.

٣- الحالية: (ذكر الحال وإرادة المحل)

وهي كونُ الشَّيء حالًّا في غيره، وذلك فيما إذا ذكر لفظ الحال وأُريد به المحل؛ لما بينهما من الملازمة، من ذلك ذكر لفظ **الرَّحمة** وإرادة لازم معناها؛ أي: **الجنَّة** التي قد حلَّت بها **الرَّحمة**، قال-جَلَّ جَلَالُهُ-: ﴿ **وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ** ﴾[آل عمران:١٠٧]، وقوله-سبحانه-: ﴿ **فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا** ﴾[النساء:١٧٥]، أي: فهم مُستقرون في جنَّته ودار كرامته، عبَّر عن ذلك بالرَّحمة، إشارة إلى أنَّ العمل لا يستقل بدخول صاحبه الجنَّة، بل لا بدَّ من الرَّحمة، سُمِّيت بمحلّها، يعني سَمَّى جَنَّتَهُ رَحمةً؛ لأنَّ دخولهم إيَّاها كان برحمته، زيادة في التَّرغيب فيها وتشويقاً للنَّفوس إليها-نسألُ الله من فضله-.

٤- المَحَلِّيَّةُ: (ذكر المحل وإرادة الحال)

إنَّ اسم المكان أو الزَّمان يُطلق على من يحل فيه؛ وقيمته تكمن أصلاً في المبالغة أحياناً، والاختصار والاكتفاء عن ذكر عدد من الأسماء بذكر المكان أو الزمان الذي يضمها ويحتويها أحياناً أُخرى، فإيقاع الذكر على الوقت مع كون المقصود ما وقع فيه من الحوادث للمبالغة؛ لأنَّ الأمر بذكر الوقت أمرٌ بذكر ما وقع فيه بالطَّريق البرهاني، ولأنَّ الوقتَ مُشتملٌ على ما وقع فيه تفصيلاً، فإذا استحضر كان ما وقع فيه حاضراً بتفاصيله، كأنَّه مُشاهدٌ عياناً، فمن أمثلة ذلك لفظ القرية في

قوله-تعالى-:﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴾[يوسف:٨٢]، فقد سُمِّيت(**قرية**) لاجتماع النَّاس فيها، وقد أُطلقت على ساكنيها توسُّعاً بتسمية الحال باسم المحل، وهو بابٌ مشهور في كلام العرب؛ فإنَّما تطلق القرية باعتبار الأمرين، كالكأس لما فيه من الشراب، والذَنُوب للدلو الملآن ماءً، والخوان للمائدة إذا كان عليها طعام ونظائره، ثمَّ لكثرة استعمالهم هذه اللفظة ودورانها في كلامهم، أطلقوها على السكان تارةً وعلى المسكن تارةً أُخرى، بحسب سياق الكلام ومعناه، وإنَّما يفعلون هذا حيث لا لبس، فلا إضمار في ذلك ولا حذف.

٥- المجاورة: (تسمية الشيء باسم ما يجاوره)

هذه العلاقة قريبة الوصل من علاقة المحلية؛ فمبناها على كون الشَّيء يُجاور غيره فيُطلق عليه اسمه، وذلك إذا كَثُر تلاصق الاسمين ومجاورتهما كثرةً تُسَوِّغُ استعمال أحدهما مكان الآخر، فمثلاً لفظ(السَّماء) ورد في مواضع كثيرةٍ من كتاب الله-تعالى- يحمل معنى(المطر)،من ذلك قوله-تعالى-: ﴿**وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً**﴾[الأنعام:٦]، وقوله: ﴿**يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً**﴾[نوح:١١]، وهذا مِمَّا اصطُلِحَ عليه اسم المجاورة توسُّعاً؛ لأنَّ السَّماء في الأصل كلّ ما علاك فأظلَّك، ومنه قيل لسقف البيت: سماءٌ، والسَّماء أيضاً المطر سُمّي بها لنزوله منها، وإطلاقُ السَّماء على المطر واقعٌ كثيراً في كلام العرب، فدلَّ على المجاورة بذلك التَّعبير؛ لأنَّه أفخمُ وأبلغُ، ورُبَّمَا ألطفُ؛ لأنَّ فيه شحذاً للأذهان لأنْ تُفتِّش عن المعنى وتتبين سبب هذه التسمية عن تلك، والله أعلم بأسرار كلامه.

٦- السَّببيَّةُ: (ذكر السَّبب وإرادة المسبَّب)

كثيراً ما يُذكر اللفظ الخاص بالسَّبب ويُراد به الأثر الناتج عنه، لأنَّ سبَبَ الشَّيء يُقام مقامه ويُطلق عليه اسمُه؛ كما في قولهم: (كما تَدينُ تُدان)، أي: كما تَجزي تُجزى، فإنَّ فعل البادئ وإن لم يكن جزاءً أُطلق عليه اسمُه لكونه سبباً للجزاء، وهذه قاعدةٌ مُطَّردةٌ مُستمرةٌ، والأمثلة على ذلك كثيرةٌ ومتنوعةٌ، منها ما ورد في قوله-سبحانه-: ﴿**لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾[الأنبياء:١٠]، فالمراد بالذكر هنا الشَّرف، أي: فيه شرفكم، قاله ابن عباس، كقوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ**﴾[الزخرف:٤٤]، أي: فيه ما يُوجب الثناء عليكم؛ لكونه بلسانكم نازلاً بين أظهركم على لسان رسولٍ منكم، واشتهاره سبب لاشتهاركم، وجَعْلُ ذلك فيه مبالغةً في سببيّته له، فالذكر هنا وُضع موضع الشرف؛ لأن الشريف يُذكر، فهو من باب ذكر السَّبب وإرادة نتيجته.

٧- المُسَبَّبِيَّةُ: (ذكر المُسَبَّب وإرادةُ السَّبب)

وهي بخلاف السَّببية؛ أي: أن يُذكر المسبب-النتيجة- والمراد سببه الذي كان علةً في ذلك، من ذلك ما ورد في قوله-تعالى-: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً**﴾[النساء:١٠]، فالنَّار هنا لا تُؤكل حقيقةً، وإنَّما المراد بأكل النَّار ما يكون سبباً للنَّار، تعبيراً بالمسبب عن السَّبب، والمعنى سيأكلون يوم القيامة، وهذا على جهة العاقبة، تفخيماً لهذا الأمر وتعظيماً لموقع الجناية فيه، على تقدير: إنَّه وإن كان طيّباً في الحال لذيذاً، فإنَّه سيؤدي إلى أكل النَّار في الآخرة حقيقة، فعبر عن السَّبب بلفظ المسبب؛ لاستلزام أموال اليتامى إيَّاها.

ومنه في قوله-تعالى-: ﴿ **وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا** ﴾ [غافر:١٣]، أي: مطراً، لأنَّه سبب الرزق، فقد ذكر المسبب(**رِزْقًا**)، وأراد السبب(المطر)، فهو مجازٌ مُرْسَلٌ علاقته المسببية.

٨- تسميةُ الشَّيءِ باسم ما كان عليه:

من الأمثلة المشهورة لهذه العلاقة، ما ورد في قوله-تعالى-:﴿ **وَءَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ** ﴾[النساء:٢]، فإنَّ لفظة(**الْيَتَامَىٰ**) لا يُراد منها حقيقةُ اليُتم؛ لأنَّه قد بلغ أشُدَّه وقتئذٍ، ولا يُتْمَ بَعْدَ احْتِلام[1]؛ وأطلق اسم (اليُتْم) عليهم عند إعطائهم أموالهم مع أنَّهم لا يعطونها إلَّا بعد ارتفاع اسم اليُتْم بالبلوغ توسُّعاً، **باعتبار ما كانوا عليه**، فضلاً عن ذلك أنَّ لفظة(**الْيَتَامَىٰ**) توحي بمعاني الضَّعف وفقدان النصير والعائل، فبقيت على اسمها الماضي في الأذهان؛ استثارة لمشاعر العطف والرحمة عند هؤلاء الأوصياء، ليُسارعوا إلى الاستجابة وامتثال الأمر الرَّباني بحفظ مال اليتيم.

٩- تسمية الشيء باسم ما سيكون عليه:

التعبير عن الشيء باسم ما يؤول إليه في المستقبل توسُّعاً، نوعٌ من البلاغة بليغٌ، وجنسٌ من الفصاحة رفيعٌ، من ذلك قوله-تعالى-على لسان أحد صاحبي يوسُف-عليه السلام- اللذينِ دخلا معه السِّجنَ-: ﴿ **وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا** ﴾[يوسف:٣٦]، فإنَّ سبب التعبير بهذه الصيغة: استحضار الصورة، والمعنى: **(إنِّي أراني أعصرُ عنباً)**، فسمَّاه باسم ما يؤول إليه؛ لكونه المقصود من العصر... ويبدو أنَّ الإيثار بهذا اللفظ بدل(**العنب**)؛ ليتوجه الذهن إلى أنَّ

---

[1] سنن أبي داود(٢٨٧٣):٣/١١٥.

المراد من عصر العنبِ الخمرَ حصراً؛ إذ عصر العنب لا يقتصر على أنَّه يصير خمراً، بل له أنواع من الصَّنعة داخلةٌ فيه كالنبيذ مثلاً، والله-تعالى- أعلم بالمراد من ذلك.

وفي قوله-تعالى-: ﴿ **إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا** ﴾[نوح:٢٧]، والمعنى إلَّا من سيفجر ويكفر، ففي الكلام توسُّعٌ؛ لأنَّهم لم يَفْجُرُوا وقت الولادة بل بعدها بزمانٍ طويلٍ، أي: إلَّا من سيكون فاجراً كافراً بعد الإدراك، فالمولود حين يُولد لا يكون فاجراً ولا كافراً؛ ولكنَّه قد يكون كذلك بعد الطفولة، نظراً لِمَا يؤول إليه أمرُه، والله عليمٌ خبيرٌ.

١٠- تذكير المؤنث:

هذا النَّوع من التَّجوز يُقصدُ به أنَّ بعض متعلقات المؤنث تأتي بصيغة التَّذكير توسُّعاً، فيُذهب إلى المعنى ويُترك اللفظُ جانباً؛ نظراً إلى أنَّ تأنيثها غير حقيقي أو لرعاية اللفظ أحياناً، وهو في القرآن الكريم كثيرٌ، وخيرُ شاهد على ذلك تذكير لفظ(قَرِيبٌ) في قوله-تعالى-:﴿ **إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ** ﴾[الأعراف:٥٦]، وفي قوله-تعالى-:﴿ **يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا** ﴾[الأحزاب:٦٣]، وفي قوله-تعالى-: ﴿ **ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ** ﴾[الشورى:١٧]، فوجه تذكير خبر رحمة الله-تعالى-(قَرِيبٌ) ولم يقل: **قريبة**؛ لأنَّ الرَّحمة مُؤوَّلة بالرَّحم، لكونها بمعنى العفو والغفران، فتأنيثها غير حقيقي، وفي هذا ترغيبٌ للعباد إلى الخير وتنشيطٌ لهم؛ فإنَّ قرب هذه الرحمة الَّتي يكون بها الفوز بكل مطلب مقصودٌ لكلِّ عبدٍ من عباد الله-عَجَلَّ-، وجميع أقوال أهل العلم تشير إلى سبب هذا التَّذكير في لفظ(**قَرِيبٌ**) وإن اختلفت توجيهاتهم في تقدير معنى الرَّحمة، فكلُّها تصبُّ في أنَّ ما لا يكون تأنيثه حقيقيّاً جاز تذكيره.

والتذكير في قرب السَّاعة لكون الساعة في معنى اليوم أو الوقت، مع كون التأنيث ليس بحقيقي... وفي هذا تهديدٌ عظيمٌ للمستعجلين وإسكاتٌ للممتحنين والمشركين، ولمن يثبت علم المغيبات للأنبياء والصالحين وغيرهم من الخلق أجمعين...

ومن قطف ثمرات تذكير المؤنث قوله-تعالى-: ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ﴾ [المزمل:١٨]، وإنَّما قال: (مُنفَطِرٌ) ولم يقل: مُنْفَطِرَةٌ؛ لتنزيل السَّماء منزلة(شيء)؛ لكونها قد تغيَّرت ولم يبقَ منها إلَّا ما يُعبَّرُ عنه بشيء، أي جُعلتِ السَّماءُ بدلاً من السَّقف بمنزلة تذكير سماء البيت، وهذا جارٍ على سُنن العرب في ترك حكم ظاهر اللفظ، وحمله على معناه[1].

١١- تغليب الذُكور على الإناث:

من المعلوم أنَّ الإناث يدخُلْنَ تحت خطاب الذكور تغليباً في سائر الخطابات القرآنية، قال-تعالى-: ﴿ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴾[التحريم:١٢]، فلمَّا كان القنوتُ صفةً تشمل من قنت من القبيلين غَلَّبَ ذكوره على إناثه، وفيه إشعارٌ بأنَّ طاعتها-عليها السلام- لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عُدَّتْ من جُملتهم.

١٢- تغليبُ الأكثر على الأقل:

جاء تغليبُ الأكثر على الأقل في استثناء إبليس-لعنه الله- عن السجود مع الملائكة، نحو قوله-تعالى-: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٣٤]، فإدراج إبليس-لعنه الله- مع الملائكة-عليهم السَّلام- هنا يعود على جهة تغليب الأكثر وهم الملائكة الذين هم ألوفٌ مؤلَّفةٌ على إبليس-اللعين- وهو فردٌ واحدٌ بين أظهُرِهم، وهذا من تغليب الجنس الكثير الأفراد على فردٍ من جنسٍ آخر مضمورٌ فيما بين تلك الأفراد.

١٣- تغليب الأشهر:

ورد هذا النَّوع في قوله-تعالى-: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ﴾[الزخرف:٣٨]، فتوجيه لفظ(الْمَشْرِقَيْنِ) يُراد به: بُعْدَ ما بين المشرق والمغرب، فغلَّب المشرقَ على المغربِ؛ لأنَّه أشهر الجهتين.

---

[1] يُنظر: المُذَكَّر والمُؤنَّث:١/٤٥٠، وفِقْه اللغَة وَسِرُّ العَرَبِيَّة:٣٣٢-٣٣٣.